Journal of Alasmarya University
Volume 11, June 2009

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الحادي عشر، يونيو 2009

أثر الشيخ الأسمر في الدعوة إلى الله

محمد أحمد اشميلة*

مقدمة

الحمد لله الذي بحمده يُستفتح كل أمر ذي بال، أحمده سبحانه الذي أنزل القرآن العظيم على نبيه محمد ﷺ فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، الذي بعثه الله بالحق إلى قيام الساعة، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، أعظم من دعا باللسان، وأشجع من جاهد بالسِّنَان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا.

أسأل الله جلّ وعلا أن يجعلني وإيّاكم ممن سخّرهم لنشر دينه جلّ جلاله و لرفع راية الإسلام، ولتكثير الخير ولتقليل الشر، إنه سبحانه أكرم مسئول، كما أسأله جلّ وعلا أن يوفقنا جميعا إلى التعاون على البر والتقوى. أما بعد:

إن الدعوة إلى الله مقام عظيم، ومرتبة عالية؛ فهو مقام صفوة خلق الله تعالى من الرسل الكرام، وخلفائهم الراشدين، والصالحين من خلق الله، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهي من أجلّ الطاعات والقربات إلى الله ﷻ، وهي سبب الهداية المأمول، وطريق السعادة المأهول، وبها يقع تذكير الغافل، وتحريك الخامل، وهي مفتاح الفهم، ومقدمة العلم، ومدخل العمل، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، وسبيل أتباع النبي الأمين ﷺ، وشرفها وفضلها معلوم، وخيرها وأثرها ملموس.

---

* طالب دراسات عليا بالجامعة الأسمرية.

فطـريق الدعـوة إلى الله طـريق طـويل شـاقّ حافل بالعقبات والأشواك، محفوف بالفتن والأذى والابتلاء، مفروش بالدماء والأشلاء، يُدَوِّي في جنباته عويل المجرمين من الكفـار والمـشركين والمـنافقين والحاقـدين، الـذين يملكون أحدث أبواق الدعاية، ومع ذلـك فنهاية الطريق وإن طال تتألق كالأمل، وتضئ كالشمس، وتشرق كالفجر، إمَّا عِزّة وشهادة، وإمَّا جنَّة وسعادة، ذلكم هو طريق الدعوة إلى الله ﷻ، طريق سيدنا نوح وسيدنا إبـراهيم وسـيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا يوسف وسيدنا محمد، صلوات الله عليهم أجمعين، وطريق أتباعهم من العلماء المخلصين والدعاة الصادقين، ولو كان هذا الطريق سـهلاً هيـناً ليناً مفروشاً بالزهور والورود والرياحين، خالياً من العقبات، آمناً من عويل المكذبين والمعارضين، لو كان كذلك؛ لسهل على كل إنسان أن يكون صاحب دعوة، و لاختلطت حينئذٍ دعوات الحق ودعاوى الباطل!!

وفي هذا البحث المتواضع أريد أن أقف على شخصية مهمة لعبت دورا مهما في طـريق الدعـوة إلى الله ﷻ، ذلكـم العـالم الجلـيل الذي أعتزّ بالانتساب إليه الشيخ (عبد السلام بن سليم الفيتوري) الملقّب بالأسمر[1] وسميت هذا البحث أثر الشيخ الأسمر في الدعـوة إلى الله. لقـد ظلّـت شخـصية هـذا الـشيخ الجلـيل عصيّة على الباحثين فترة من الزمن؛ وذلك لشحّ المصادر التي تتحدث عن هذا الشيخ الجليل؛ وسبب شحّها يعود إلى النكـبة الـتي تعرضت لها زاويته[2]، فذهب إثرها غالب المخطوطات والكتب التي ألفها أو التي تتحدث عنه.

وهـذا ممـا فـتح الطـريق أمام قاصري العلم بأن ينسجوا حول هذا الشيخ الجليل الأسـاطير والخـرافات، ويهملـوا الجانـب العلمـي والدَّعَـوِي « ولقد نسج الخيال الشعبي حـول الـشيخ مجمـوعة مـن الصور والأخيلة تحت مظلة الولاية ... وجذبت حياة الشيخ وتاريخـه وتـراثه إلى هـذه الدائرة قسرا. ومن حقّ الشيخ على التاريخ أن ينشله من دائرة

1- يحدثنا شيخنا الجليل عن سبب هذه التسمية فيقول: « سميت بالأسمر لمبيتي الليالي سمرا في طاعة الله سبحانه وتعالى ». محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 87

2- يقصد بها الغارة التي قام بها المتمهدي يحيى السويدي ويقال له الزر هوني سنة 995هـ حيث قُتِل فيها الشيخ عمران نجل الشيخ عبد السلام الأسمر، وبعد هذه الوقعة الشنيعة قام المتمهدي باستباحة الزاوية وسرقة إرث الشيخ العلمي وهو عبارة عن 500 مجلد تحتوي على جميع العلوم. السنهوري، النور النائر ص: 27 مخطوط. محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار ص: 232.

العابثين، ويرفعه إلى مكانه العليّ بين الولاية، والعلم الحافظ »[3].

وهـذا ممـا دفعـني لكـتابة هـذا البحث وذلك لتسليط الضوء على هذه الشخصية الفـذة، وإن كـنت لـست أهـلا لـذلك، فـإن وفقـت فمـن الله، وإن أخطـأت فمـن نفـسي والشيطان.

ولقـد تكلمـت في هـذا الموضـوع سالكاً خطّة تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة مطالب، وخاتمة. أما المقدمة: فقد ذكرت فيها اسم الموضوع الذي سأتكلم عنه، وأشرت إلى الأسباب التي جعلتني أكتب فيه، والخطة التي سأسلكها في الكتابة. ثم أتبعتها بتمهيد تطـرقت فـيه لمفهـوم الدعـوة ومواصـفات الداعية. أما أول المطالب فقد ذكرت فيه اسم الـشيخ ونـسبه الـشريف ومولده وأسرته، وجعلت المطلب الثاني نبذة مختصرة عن حياة الـشيخ الجلـيل، وتحـدثت في المطلـب الـثالث عـن أثـر دعـوة الشيخ إلى الله في العالم الإسـلامي، وخصصت المطلب الرابع للحديث عن منهجية الشيخ في الدعوة إلى الله. ثم ختمت هذا البحث بخاتمة -نسأل الله حسنها- ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وأبرز التوصيات التي أرجو أن تكون نافعة للجميع.

وبعـد؛ فـإن مـا بذلته من جهد متواضع في هذا البحث أرجو أن أكون قد سلطت الضوء على جانب من جوانب شخصية هذا الشيخ الجليل التي تحتاج لمزيد من البحث والتحقـيق، لأنّ هـذا الـشيخ يعتبر بحق علما من أعلام الدعوة، وشمعة مضيئة في سماء تاريخ الثقافة في بلادنا.

تمهيد: مفهوم الدعوة

الدعوة لغة

قال ابن فارس[4]: « دعو الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تُميل

3- الصّديق يعقوب، الشيخ الأسمر العلم المغمور والصوفي المفترى عليه. بحث منشور بمجلة العلوم الإنسانية العدد الثاني ص:465.

4- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب أصله من قزوين وأقام مدة في همذان ثم انتقل إلى الري، مالكي المذهب ولد سنة 329 هـ تتلمذ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من تصانيفه (معجم مقاييس اللغة، المجمل، الصاحبي) توفي بالري سنة 395هـ. الأعلام جـ: 1 ص: 193، الذهبي، سير أعلام النبلاء جـ: 17 ص: 104.

الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاء، والدَّعوة إلى الطعام بالفتح، والدِّعوة في النَّسب بالكسر »[5]. وقال الرازي[6]: « دعاه صاح به واستدعاه، ودعوت الله له وعليه أدعوه دعاء. والدعوة المرة الواحدة، والدعاء واحد الأدعية »[7]، ودعا إلى الشيء حثَّه على قصده، ومنه في القرآن الكريم: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: 12].

والدَّاعِي: هو الذي يدعو، والجمع دعاة، والدّاعي: هو المؤذن؛ لأنّه يدعو النّاس إلى الصلاة [8]، ويقال لمن عرف بالدعوة: داعية. وداعي الله: لقب رسول الله ﷺ، ومنه في القرآن الكريم: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف: 31]. ويقال دعا يدعو فهو داع، وفي قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: 46]، أي داعياً إلى توحيد الله[9]. فالدّاعي هو الذي يدعو إلى أمر ما، والجمع دعاة وداعون، والدّاعي والدّاعية واحد.

ومن كلام أهل اللغة الذي نقلناه يظهر لنا أنّ معنى الدّعوة في اللغة إمالةُ المتكلمِ النّاسَ إلى نفسِه، أو إلى فكره بكلامه، أو فعله.

وقد ورد لفظ الدّعوة في القرءان الكريم في آيات كثيرة وبمعان متعدّدة يهمُّنا منها معنيان: الدعوة بمعنى التبليغ والبيان، ونقل هداية الله إلى الناس، وقد ورد بهذا المعنى آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: 33]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: 5]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: 108].

فمفهوم الدعوة من خلال مدلولها اللُّغوي يشير إلى النداء و الطلب للاجتماع على شيء أو الاشتراك فيه، فدعا الرجل ناداه أو طلبه، و الاصطلاح هو الذي يُعيِّن

5- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. جـ: 2 ص: 279.

6- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي صاحب كتاب مختار الصحاح في اللغة فرغ من تأليفه أول رمضان سنة 660هـ من فقهاء الحنفية له علم بالتفسير والأدب أصله من الري، زار مصر والشام وكان في قونية سنة 666هـ وكان آخر العهد به. الأعلام جـ: 6 ص: 55.

7- مختار الصحاح للرازي جـ: 1 ص: 18.

8- أحمد الفيومي، المصباح المنير. جـ: 1 ص: 194.

9- ينظر جامع البيان في تأويل القرءان للطبري. جـ: 20 ص: 281 تفسير سورة الأحزاب.

ويُحدد المراد من النداء أو الطلب، و بغير بيان المقصود يبقى المعنى عاماً شاملاً.

الدعوة اصطلاحا

تطلق كلمة الدّعوة اصطلاحا على عدة معان، وليس هنا محل تفصيل، وأما فيما يخصّ الدّعوة إلى الله تعالى، فإنها تطلق على مقصدين:

الأول: تُطلق على الإسلام كله، قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [الرعد: 14]، فيقال دعوة الإيمان، ودعوة الإسلام، ودعوة الأنبياء، وهكذا، ومن هذا المعنى ما ورد في دعاء الأذان «اللهم ربّ هذه الدعوة التّامة»[10]؛ أي دعوة التوحيد[11].

الثاني: تطلق على كل عمل يدعى فيه إلى الله: كالتدريس، والخطابة، والوعظ، والمحاضرات، والمؤتمرات، والمناظرات، والدفاع عن الإسلام، والرد على خصومه، والجهاد، وكل ما من شأنه إعلاء كلمة الإسلام.

فالدّعوة إلى اللّه ﷻ هي: الدّعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدّعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإِيمان بالقدر خيره وشرّه، والدعوة إلى أن يَعْبُد العبدُ ربَّه كأنه يراه.

«ولكي يشمل تعريف الدّعوة الإسلامية مراحل الدّعوة الثلاث أرى أن تُعرّف اصطلاحا بأنها: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[12].

مواصفات الداعية

اعلم أنه لا بدّ لكل عبادة أو طاعة من شرطين لقَبولها:

أولاً: الإخلاص لله ﷻ فلا يبتغي بعمله دنيا يصيبها، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: 5].

10- قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة» أخرجه البخاري كتاب الآذان، باب الدعاء عند النداء (3/42، رقم 614).

11- ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ: 2 ص: 95.

12- محمد البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة. ص: 17.

ثانياً: المتابعة، بمعنى أن يكون موافقاً لسنة النبيﷺ لا ابتداع فيه لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: 7]، ولقول النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[13].

وهذان الشرطان هما مقتضى الشهادتين، فالأول تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله والثاني تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ. ولذلك فعلى الداعية أن يحقق هذين الشرطين مع التحلّي بالصّفات الآتية[14]:

1. الصّدق: كما قال الرسول ﷺ لقريش على جبل الصّفا «أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ فقالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صِدقا»[15] فهذا إجماع منهم على صدقه،لذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: 33]. فالصّدق من أهم صفات الدّاعية إذ كيف يمكن أن يكون الدّاعية كذاباً؟ كما أن الصدق له أثره في نفوس المخاطبين فيحملهم على احترامه وقبول قوله، بخلاف الكذب الذي يؤدى إلى عكس ذلك.
2. الأمانة: لأنها تُعطى الناس الثقة في الدّاعية المتحلّي بها، وهى قرينة الصّدق، لذا فالناس لا تطمئنّ للكاذب ولا الخائن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: 187]، ومن الخيانة كتم العلم والخير الذي ينفع الناس عنهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: 58].
3. الصّبر: وهو من الصفات اللازمة لكل إنسان ولا غنى للدّاعية عنه لما سيلاقيه من المتاعب والصعاب في تبليغ دعوته،إذ المراد لا ينال غالباً إلا بتحمل المكاره وحبس النفس عليها،لذلك على الدّاعية إلى الله أن يكون حليماً صبوراً على الأذى

13- قال رسول الله ﷺ: «عليكم بتقوى الله و السمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، وسترون من بعدي اختلافا شديدا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل بدعة ضلالة» أخرجه ابن ماجه (14/ 15، رقم42) والترمذي (194/10، رقم2891).

14- ينظر كتاب الوجيز في مقومات الداعية، سيد مختار ص: 7 وما بعدها بتصرف.

15- أخرجه البخاري باب وأنذر عشيرتك الأقربين (1787/4، رقم4492).

لأنه لابد أن يحصل له أذى ومضايقات فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح ولهذا قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199]، فالدّاعي إلى الله أحوج ما يكون إلى التحلّي بالصبر، وعليه أن يوطن نفسه تحمل البلاء؛ لأنه سنّة الله في الدّعاة، ولا يخفى ما حدث للأنبياء، والدّعاة على مَرّ التاريخ من ابتلاءات فصبروا عليها، فليتخذ منهم الأسوة، وليتذكر دائماً قول الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: 17].

4. الرحمة: لابد للدّاعي إلى الله أن ينبض قلبه بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير لهم، ولا يكن كل همّه أن يقيم عليهم الحجة والدليل على بطلان ما هم فيه فقط، بل عليه أن يحرص كل الحرص على استنقاذهم من الضلال إلى الهدى، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن البدعة إلى السنّة، وأن يبعدهم عن مواطن الفتن وسبل الهلاك، وله في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة قال تعالى:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128]، وقد مَثَّلﷺ شفقته بأمته وحرصه على ما يبعدهم عن النار فقال: « إنَّما مثلي و مثلَ أمتي كمثل رجلٍ استوقد ناراً فجعلت الدوابُّ والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه »[16].

5. التواضع: الداعي إلى الله يخالط الناس ويدعوهم إلى أخلاق الإسلام فلا ينبغي أن يدعو الناس إلى التواضع وهو لا يتصف به ويحذر الناس من الكبر ويبين لهم عقوبة المتكبرين قالﷺ: « لا يدخلُ الجنةَ مَن كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر »[17] ثم يتكبّر هو عليهم. وطبيعة الناس أنهم يأنفون من المتكبرين ولا يقبلون لهم قولاً، فعلى الدّاعي إلى الله أن يخفض جناحه ويلين جانبه للناس ويحقّق قول الله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: 215]، وقول الرسولﷺ: « وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »[18].

6. الالتزام: والتطبيق لما يدعو إليه، إذ كيف يدعو إلى شيءٍ وهو لا يفعله ولا يطبقه

16- أخرجه مسلم في صحيحه (1789/4، رقم 2284).

17- المصدر نفسه، باب تحريم الكبر (93/1، رقم91).

18- قال ﷺ: « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »، أخرجه مسلم في صحيحه (2001/4، رقم2588).

على نفسه، وذلك حتى يكون قدوة لمن يدعوهم، فسلوك الدّاعي وأفعاله أكبر أثراً في المدعوين من أقواله، كما حكى القرآن الكريم قول نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود: 88]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: 2].

7. تقوى الله ﷻ ومراقبته: فتقوى الله ﷻ هي وصية الله تعالى للأولين والآخرين قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 131].

8. العلم بما يدعو إليه: لابد للدّاعي إلى الله أن يكون على علمٍ وبصيرةٍ بما يدعو إليه، ولا يدعو إلى شيءٍ يجهله أو يشكّ فيه،قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

هذا إلى جانب التحلّي بجميع الصفات الحميدة التي تجعل الناس يحبون الدّاعية ويقبلون دعوته، ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه.

إن المتتبع لسيرة الشيخ الأسمر من خلال وصاياه ورسائله وما كتبه معاصروه يجد أن شيخنا الجليل قد اتصف بجميع هذه الصفات التي تؤهله أن يكون داعية ومصلحا ومرشدا من الطراز الأول.

المطلب الأول: نسب الشيخ عبد السلام الأسمر

أولا: نسبه من جهة أبيه[19]

هو الشيخ العالم والولي الصالح أبو عمران عبد السلام بن سليم[20] بن محمد بن سالم بن حميدة بن عمران[21] بن محيا[22] بن سليمان[23] بن سالم[24] بن عمران بن

19- ينظر مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 11، 12.

20- توفي سيدي سليم سنة 882هـ وله قبر مشهور شرق مركز مدينة زليتن على الطريق الساحلي المؤدي لمدينة مصراته، وقد أفرد له محمد مخلوف في تنقيحه بابا ذكر فيه شيئا من أحواله ينظر تنقيح روضة الأزهار ص: 85

21- وهو الملقب بالخليفة وقبره في الجهة المقابلة لقبر سيدي سليم السابق الذكر تفصل بينهما الطريق المذكورة ومدفون معه السيدة سليمة والدة الشيخ. مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 11.

22- المدفون مع إخوته في زليتن بأرض الفواتير في (روضة أولاد سليمان السبعة). المصدر السابق.

23- هو جد الفواتير استشهد وهو يصد إحدى غارات الإفرنج على شاطئ طرابلس سنة 537هـ وله قبر مشهور =

أحمـد بـن خلـيفة[25] بـن عبد الله[26] بن عمران بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عـبد القـادر بـن عبد الرحيم بن عبد الله بن إدريس الأصغر[27] بن إدريس الأكبر[28] بن عـبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن سيدتنا البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

ثانيا: نسبه من جهة أمه[29]

عبد السلام بن السيدة سليمة الدرعية الشهيرة بعيّادة[30] بنت عبد الرحمن الدرعي بـن عبد الواحد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن علي بن سعد بن محمد بن أبي عبد الله بن الشيخ الفاضل المشهور عبد السلام بن مشيش[31] بن أبي بكر بن رواح بن عيسى بن أبـي القاسـم بن مروان بن حميدة بن علي بن عبد العزيز بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكـبر بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن سيدتنا البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

إن المـتمعّن في نسب شيخنا الجليل من جهة أبيه وأمه يجده قد فاز بالشرف من الجانبين شريفا حسنيا من الطرفين.

ثالثا: مولده ﷺ

ولـد شـيخنا الجليل، في يوم الاثنين ليلة اثني عشر من ربيع الأول سنة 880هـ-

---

=

بجانب سيدي الشعاب بطرابلس. سالم شلابي، المختار من أسماء وأعلام طرابلس الغرب.ص: 132.

24- دفين مقبرة عوسجة بالزاوية الغربية. مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 11.

25- وهو الملقب بفيتور وقبره بالصابرية ومن هذا اللقب استمدّ أبناؤه وأحفاده اسم الفواتير. مصطفى بن رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه.ص: 12.

26- الشهير بنبيل دفين مكّة المكرّمة. محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 74.

27- ثاني ملوك الأدارسة وباني مدينة فاس توفي سنة213هـ - 828م. الأعلام جـ 1 ص:278.

28- مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب. توفي مسموما سنة 177هـ. الأعلام جـ 1 ص: 279.

29- ينظر محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 83.

30- اشتهرت بعيادة لكونها ولدت يوم عيد الفطر. محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 84.

31- عبد السلام بن مشيش ناسك مغربي مشهور صاحب الصلاة المشيشية المشهورة ولد في جبل العلم بثغر تطوان و قتل شهيدا سنة 622هـ. الأعلام جـ 4 ص: 9.

1475م. في مدينة زليتن العامرة[32]، ولنترك أحد مُحبِّيه يروي لنا هذا الحدث المبارك: « وانطلقت الأصوات الجميلة من المآذن تؤذن لصلاة الصبح. وفي فجر ذلك اليوم السعيد ازدحم الناس على غير عادتهم يسعون لصلاة الصبح في يوم المولد النبوي الشريف، وانطلق صوت المولود السعيد في صباح مولد جدّه النبي ﷺ، وتمّت مصادفة من أسعد المصادفات هي مولد عبد السلام في نفس يوم مولد جده المصطفى ﷺ فكانت هذه الإشارة واضحة بما تدّخره الأيام من عناية ربانيّة لهذا الطفل السعيد، وابتسم سليم وحمد الله تعالى، واطمأنت الأم وأطالت النظر إلى طفلها الحبيب، وخرج عبد السلام إلى الدنيا والاحتفالات تعمّ كل زليتن بل كل أنحاء ليبيا ومصر وتونس والعراق والمغرب والحجاز وكل أنحاء العالم الإسلامي، وكل المسلمين في كل مكان يحتفلون بجده العظيم سيدنا محمد ﷺ خير المخلوقات وخير شخص في الوجود، وكان يوم 12 ربيع الأول من عام 880هـ عيدا بمولد سيدي عبد السلام بن سيدي سليم، فلم يكن من الأيام التي ينساها أحد »[33].

رابعا: أسرته ﷺ

نشأ شيخنا الجليل في أسرة شريفة عريقة محافظة، لها ميراث علمي، عاش يتيما فلم يكد يبلغ العامين أو أزيد بقليل حتّى توفي أبوه السيد سليم فتولت أمه السيدة سليمة تربيته وكفالته فأدّت المهمة على أكمل وجه فقد كانت السيدة سليمة كما يصفها البرموني[34] « كانت فاضلة جليلة حاذقة كيسة تصوم من السنة الأيام الكثيرة وتتلوا جزء من القرءان لم أرى في زماننا مثلها »[35]، وإلى جانبها قام بتولّي أمره بعد وفاة أبيه عمّه الشيخ أبو العباس أحمد الفيتوري.

32- زليتن اسم مدينة من مدن طرابلس الغرب، وتقع شرقيها بنحو 158ك م. وغربي مصراته بنحو 54 كم. وهي مدينة عامرة آهلة، وفيها نشاط مادي وأدبي يراه الإنسان في كثرة متاجرها وزواياها، وسكانها الفواتير، وأولاد الشيخ، والبراهمة، والكول اغلية (الكوارغلية) والعمايم. الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 170.

33- إسحاق المليجي، على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر، ص: 31.

34- عبد الكريم بن ناصر الدين البرموني، كريم الدين عالم بفقه المالكية، من أهل مصراتة تفقه بها وبمصر، وانتقل إلى مكّة له تصانيف منها حاشية على مختصر خليل خ، وروضة الأزهار في مناقب صاحب الطار خ كان حيا بمكة سنة 998هـ.الأعلام جـ 4 ص: 57.

35- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار، ص: 84.

« فالأسمـر إذن تربّى في أحضان أسرة كان لها ميراث علمي، وشرف أسري من الجهتين، جهة الأب وجهة الأم، ومن كان هذا شأنه فلا بد وأن يكون متأثرا بتوجيه أسرته له منذ نعومة أظفاره، ومن ثمَّ لا نعجب إن رأينا الأسمر قد وصل إلى ما وصل إليه من العلم والعمل، مادام قد تربّى في أحضان هذه الأسرة العريقة في العلم والتقوى والصلاح والشرف »[36].

إن هـذه البيـئة الدّينـية الـتي عاش فيها شيخنا الجليل أثّرت فيه تأثيرا عميقا، فقد فـتح عينـيه علـى أم تـصوم من السّنة الأيام الكثيرة، تالية لكتاب الله، ونشأ مع عم مادحا لرسول اللهﷺ متقناً للعربيّة، ومن المعروف أن كل مولود يولد على الفطرة وللأسرة دور كـبير في نـشأة أبـنائها يقول الرسول الكريم ﷺ: « ما مولود إلاّ يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه »[37].

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن حياة الأسمر

نـشأ شـيخنا الجلـيل يتـيما، فقَـبْل أن يـشتدّ عـوده رحـل عـنه أبـوه، وعمره ستة وعـشرون شـهرا[38] فنـشأ شـيخنا الجلـيل فاقـدا لعطـف الأبوّة، وهكذا تصنع الظروف الـصعبة وأجواء اليتم الرجال، فبعد وفاة الوالد سنة 883هـ[39] كان لابدّ لرجلٍ أن يتولّى أمر الشيخ وأمّه، فلم يكن للشيخ بعد الله وأمّه إلا عمّه الشيخ أبو العباس أحمدً بن محمد الفيتو ري الذي كان له تأثير كبير في توجيه الشيخ، فهو يعتبر أول مشايخه[40]، ومرشده الأول فقـد كـان عمّه من أعيان البلد، وكذلك كان له « طريق في الشعر والنحو والمنطق وكان يقريه في الآجرومية إلى أن تفرّس فيها »[41] فبدأ العم بتوجيه ابن أخيه إلى مكارم الأخـلاق، وكـان يحثّه على طلب العلم بعد أن وجد فيه الجدّ والاجتهاد، فأدخله الكتّاب

36- مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه.ص: 21.

37- أخرجه البخاري، باب إذا أسلم الصبي (1/465، رقم1319).

38- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 91.

39- لم أعثر على تاريخ ميلاد ووفاة والد الشيخ فيما اطلعت عليه من المراجع والوثائق ويمكن اقتباس تاريخ وفاته من تاريخ ميلاد ابنه عبد السلام فقد كان عمره عند وفاة أبيه سنتان وشهران وبدا يكون تاريخ وفاة والد الشيخ سنة883هـ.

40- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار.ص: 91.

41- عبد الرحمن المكي، البحر الكبير في مناقب صاحب البند ير.ص: 8، مخطوط.

لحفظ كتاب الله، « حيث حفظ القرءان الكريم عن ظهر قلب على يد الفقيه (علي بن عثمان الفيتوري)[42] وهو لم يتجاوز السنة السّابعة من عمره »[43] وصار من الماهرين فيه، وبعد حفظه للقرآن الكريم كان لزاما عليه أن يأخذ شيئا من العلم، فكان يتردد على كثير من مشايخ بلده ناهلا من مناهل العلم والمعرفة، وفي سنة 892هـ وقد بلغ شيخنا الجليل ربيعه الثاني عشر قرر عمّه[44] أن يذهب به إلى مسلاته[45] حيث الشيخ المربّي الأستاذ عبد الواحد الدوكالي، وذلك ليتولّى هذا الشيخ المربّي الإشراف على التربية الرّوحية لشيخنا الجليل وإكمال مسيرته التعليمية، فمكث شيخنا الجليل في كنف أستاذه مدّة سبع سنوات كاملة[46] كان فيها مثال الطالب النجيب، والمريد الصّادق، والمقرّب من شيخه، وعندما وصل إلى هذه المرحلة « أسلكه في طريقته العروسية[47] » [48]، وعندما أصبح شيخنا الجليل له قدم راسخة في العلم أجازه شيخه، وأمره أن يسلك طريق الدّعوة والإرشاد، فخاطبه قائلا: « يا عبد السلام اذهب لينتفع بك الناس الشيخ ما يخدم شيخا »[49]، ولم يكتف شيخنا الجليل بهذه الإجازة من شيخه، بل قام برحلة مضنية في البحث عن شيخ يتتلمذ عليه، فكلما سمع بشيخ ذهب إليه وطلب منه أن يقبله تلميذا عنده، ولكن محاولاته كلها لم تنجح فطاف على ثمانين شيخا[50].

فجميع المشايخ امتنعوا عن قبوله؛ حالما يطّلعون على علوّ مقامه و غزارة علمه، فطاف على جميع مشايخ ليبيا المعتبرين أمثال الشيخ عبد الله العبّادي[51]، والشيخ محمد

42- لم أقف على ترجمته.

43- مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه.ص: 22.

44- المصدر نفسه، ص: 23.

45- مسلاته بلد كبير يقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس بنحو 125كم. و أرضها جبلية ويُعنَى أهلها بشجر الزيتون ويُغِلون منه زيتا كثيرا وقد اشتهرت بكثرة الزيت منذ القدم. الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 215.

46- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص:92.

47- نسبة للشيخ أحمد بن عروس دفين تونس الخضراء. السامرائي، تاريخ الطرق الصوفية. ص: 108.

48- مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 24.

49- عبد السلام الأسمر، الأنوار السنية. ص: 11.

50- المصدر نفسه، ص: 11.

51- لم أقف على ترجمته.

الحطّاب[52]، والشيخ علي العوسجي[53]، والشيخ عبد النبي عبد المولى الأصفر[54]، فجميع المشايخ والعلماء سلّموا له، وهكذا أصبح شيخنا الجليل الشيخ الأول بلا منازع، الحائز على شهادات العلماء له على علوّ مرتبته وغزارة علمه.

ثم عاد أدراجه إلى بلدته زليتن، فوجد أمه قد كفّ بصرها، فمكث معها قائما على خدمتها إلى أن توفيت[55]، ثم قرر شيخنا الجليل أن يدخل في سياحة طاف من خلالها على جميع أولياء بلده، « إذ أن السّياحة في الأرض تعتبر وسيلة من وسائل التربية النفسيّة، فهي مجاهدة للنفس، وقطعا لمألوفاتها، ومغالبةً لشهواتها، وهذا لاشكّ خليق بسموها وتهذيبها. سار الأسمر سائحا في أرض الله زائرا كل من انتسب إليه، ... وكانت نقطة النهاية في سياحته هذه جبل زغوان بتونس »[56]، ثم رجع إلى بلده زليتن وأقام فيها للدّعوة والإرشاد، وما كاد الناس يلتفّون حوله، ينهلون من علمه حتى ظهرت له حفنة من الجهلة و الحاسدين والمنكرين، حاربوه ورموه بالسحر والزندقة لا يحركهم في ذلك إلا الحقد والبغضاء مما اضطرّ شيخنا الجليل إلى شدّ عصا الترحال، فهجر بلدته، وفارق مُحبّيه وتلاميذه.

وجد شيخنا الجليل نفسه في سياحة جديدة ولكنها تختلف عن سياحته الأولى؛ فالسّياحة الأولى التي قام بها كانت من تلقاء نفسه، أما هذه فكانت قسرية، فمرّ بساحل الأحامد[57] ومكث عندهم مدّة، ثم انتقل إلى طرابلس وأقام بجامع الناقة[58] داعيا

52- محمد بن عبد الرحمن الرعيني الشهير بالحطاب الكبير الأندلسي أصلا الطرابلسي مولدا أخذ عن الشيخ علي السنهوري والسخاوي وزروق كان إماما جامعا بين الشريعة والحقيقة ارتحل من مكة إلى تاجوراء وأسس بها زاوية ولم يزل بها إلى أن دفن بها سنة 945هـ. محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 255.

53- علي بن عبد الحميد العوسجي ولد سنة 775هـ كان يحفظ القرءان بالروايات السبع، ويعلم أبناء المسلمين ولذلك اشتهر بمؤدب الصبيان، مشارك في علوم كثيرة، كان يقال له (بوحميرة) لأنه لما تقدمت به السن اشترى حمارة ليركبها في قضاء بعض حوائجه، عاش مائة وخمسين سنة. توفي سنة 925هـ. الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا. ص: 261.

54- لم أقف على ترجمته.

55- الطيب المصراتي، فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر. ص: 31.

56- مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 27.

57- ساحل الأحامد بلد بجوار مدينة لبدة، وهو ملاصق لمدينة الخمس وطوله من الشرق إلى الغرب نحو 18كم وينتهي الذاهب منه إلى الشرق بعين كعام، ومن هناك يدخل أرض زليتن. الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 179.

ومصلحا، والتفّ حوله الكثير من الناس، وله فيه خلوة باقية إلى الآن كان يتعبّد فيها[59]، فلما ذاع صيته، وعلا شأنه دبّر له أعداؤه مكيدة مع الوالي وقالوا له: « إن هاهنا رجلا من أهـل زليتن يزعم أنه القطب، ويؤم الناس، فأخرجه لئلا يشوّش عليك بلادك فتخرج من بينهم على غير اختيارك ولازالوا على ذلك حتى ألزمه الوالي بالخروج من طرابلس ومن سـاير قراها »[60] فذهب سيخنا الجليل إلى غريان[61] ومكث بها مدّة تعرّض فيها لكل أنـواع الظلـم؛ فأسـاءوا الأدب معـه « ولم يعطـف عليه ويكـرمه سوى أولاد أبو سلامة وأولاد سيدي ساعد حيث عرفوا مكانته واحترموه »[62].

هذا هو طريق الدّعوة إلى الله لابدّ فيه من المعاناة، وهكذا هم الدّعاة والمصلحون والأولـياء المقـربون لابـدّ مـن الابـتلاء، سـئل رسـول الله ﷺ أي الـناس أشدّ بلاء؟ فقال: « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فإذا كان الرجل صلب الدّين يُبْتلى الرجل على قدر دينه فمن ثخُـن دينـه ثخُـن بـلاؤه و من ضعف دينه ضعف بلاؤه »[63] وهنا قرر شيخنا أن يهجر الخلـق بعد رأى منهم الحقد والحسد والإنكار، فهاجر إلى قلعة سوف الجّين[64] مع ثلة مـن أولاده ومريديه، ومكث بها سبع سنوات[65] مشتغلا بالدّرس والعلم بالنّهار، والذكر والعـبادة بالليـل، وظهـرت له فيها كرامات كثيرة منها: انفجار الماء من صخرة في أعلى الجـبل، وهـي مـا يعـرف بـ(القطّار)، ويحدّثنا عبد الرحمن المكّي[66] عن ذلك فيقول:

=

58- من أقدم الجوامع المعروفة المشهورة في مدينة طرابلس، ومن الحكايات الشائعة في طرابلس في سبب تسميته بجامع الناقة أن المعز لدين الله لما سافر إلى مصر سنة 362هـ. مر بطرابلس، وقام أهلها بإكرامه، أعطاهم ناقة محملة ذهبا، فبنوا بها هذا الجامع وسموه جامع الناقة. الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية.ص: 94.

59- الطيب المصراتي، فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر. ص: 35

60- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار ص: 104.

61- مدينة تقع جنوبي طرابلس بنحو 94كم وسكانها عرب. الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 245.

62- إسحاق المليجي، على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر ص: 116.

63- أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الإيمان (99/1، رقم 120).

64- وهي جبيل صغير مستدير ورأسه منبسط يقع في وادي سوف الجين ويعتبر هذا الوادي من أكبر وديان طرابلس ويصب في تاورغاء، تخصب فيه زراعة القمح والشعير وهو من أملاك أَرْفَلَة. الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية.ص: 283، 344.

65- سالم حمودة، مختصر تاريخ الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر. ص: 3.

66- عبد الرحمن بن علي المكي كان فقيها محدثا من علماء مكة المكرمة تفقه على الناصر اللقاني =

« فحفـرنا ثلاثمائـة قامـة ولـم نجـد مـن المـاء شـيئا فـصعدنا إلى رأس القلعة، وانهمرنا بالبكاء، فأخذ الشيخ معوله وقال: أنتم غرباء وأنا رحمة لكل غريب، وضرب المعول في تلـك الصخرة، وإذا بالماء فوق رؤوسنا »[67]، وبعد مُضِي سبع سنوات في القلعة حاول والـي طـرابلس القضاء على الأسمر وأصحابه؛ فسيّر حملة قادها بنفسه إلى قلعة سوف الجـين ولكـن عـند وصـوله إلى مـشارف القلعة حدثت له أمور جعلته يراجع حساباته، ويتوقّف عن هذه الحملة « فأصدر أوامره بالتوقّف والرّجوع، وأرسل رسولا من لدنه إلى الأسمـر يـبلّغه تحـياته، ويعرض عليه أن يترك هذا المكان الموحش، ويصطفي ما يشاء مـن المـدن العامـرة لمقره وسكناه، ولقي هذا العرض قَبولا في نفس الأسمر وأصحابه، وبدأت رحلة العودة »[68]، فنزل شيخنا الجليل من قلعته وتوجّه إلى تاورغاء[69] فمكث بهـا مـدّة وقد تلقّاه أهلها بغاية الإجلال والإكرام[70]، ثمّ بعد ذلك توجّه إلى مصراتة[71] « ودخـل مـصراتة يريد سكناها، ففرح أهلها به وأكرموه، وأقام بها مدّة بدار سيدي علي بودبـوس »[72]، وخرج بعد مدّة من مصراتة وأتى إلى زليتن فنزل بأرض أهله الفواتير[73]،

=

التقى بسيدي عبد السلام الأسمر وأخذ عنه وانتفع به، له عدّة تصانيف في مناقب شيخه، توفي سنة 998هـ ودفن بالبقيع. محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 251.

67- عبد الرحمن المكّي، البحر الكبير في مناقب صاحب البندير. مخطوط ص: 26.

68- مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 36.

69- بلد جنوبي مصراته بنحو 40 كم وبها عين غزيرة النبع عذبة الماء استبحرت من كثرة ما تجمع من مياهها حتى أصبحت سبخة، وسكانها سمر البشرة وقلّ أن يوجد فيهم أبيض، وهم مشهورون بالشجاعة، وفي سنة 1915م حصلت فيها معركة بين العرب والطليان، واضطر الطليان أن يخوضوا المستنقع فغرقوا فيه جميعا. الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 79.

70- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 111.

71- مدينة من مدن طرابلس المشهورة، وتقع شرقي مدينة طرابلس بنحو 215كم. وقد اشتهرت منذ القدم بالنشاط التجاري. الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 316.

72- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص:

73- الفواتير نسبة إلى جدهم سليمان بن سالم بن خليفة الملقب بفيتور، وقد تميز الفواتير منذ ظهورهم على مسرح الحياة بالاستقامة، والتدين، والتخلق بالأخلاق الحميدة، فهم معدن الولاية والبركة وقد قال فيهم الشيخ أحمد زروق: « الفواتير والزاوية ينبتان الأولياء كما تنبت الأرض الطيبة الزعفران »، كما أشاد بسمو أخلاقهم كثير من العلماء أمثال العلامة الناصر اللقاني وغيره، وقد قال عنهم الرحالة العياشي بأن بلدتهم مأوى الصالحين ووكر العابدين. مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 19.

ثم نزل بين البراهمة وأولاد غيث[74]، وأسّس زاويته المشهورة سنة 912هـ[75]، وقد جاء إلى هـذه الـزاوية المجـاورون و الأباعد، فانتظمت حلقات العلم والدرس، وغصّت زليتن بالـوافدين على هذه الزاوية وكلهم متعطشين لعلوم هذا الشيخ الجليل، وبعد عمر حافل بالدعـوة والإرشاد، كان لابد لروح هذا الشيخ الجليل أن تصعد إلى باريها، حيث « كانت وفاتـه يوم الخميس بعد صلاة العصر في العشر الأواخر من شهر رمضان، وبات مغسلا في خلـوته، ودفن في الغد بعد صلاة الجمعة، بعدما غسّل أيضا، ودفن بزاويته المعروفة بـزليتن بـأرض طـرابلس الغـرب وكـان ذلك سنة981هـ واستخلف بعده سيدي عمر بن جحـا[76]، وكان الذي تولّى غسله والصلاة عليه سيدي سالم بن طاهر اليزليتني[77]، كما أوصـى بذلك قبل موته »[78]. وذلك بعد أن أشهده الله ثمار غرسه والمتمثل في عشرات

74- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 112.

75- ذكرت عدة مصادر تاريخ تأسيس الزاوية ولكن انقسمت هذه المصادر إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذكر الطاهر الزاوي في كتابه معجم البلدان أن تاريخ الزاوية كان سنة 900هـ وأظنه سبق قلم من الشيخ الطاهر وذلك لأن عمر الشيخ في هذا الوقت 20 سنة وفي هذا العمر مازال الشيخ في رحلته العلمية.

القول الثاني: ذكر الطيب المصراتي في كتابه فتح العلي الأكبر نقلا عن صاحب فتح العليم، وكذلك سالم حمودة في رسالته المختصرة عن تاريخ الشيخ ذكرا أن تاريخ تأسيس الزاوية سنة971هـ وهذا أمر بعيد الاحتمال وذلك حينما تستعرض تلاميذه الذين وفدوا عليه في زاويته تجدهم قدموا عليه قبل هذا التاريخ.

القول الثالث: رجّح الشيخ مصطفى بن رابعة في رسالة الدكتوراه الغير منشورة «زاوية الأسمر وإشعاعها العقدي والروحي في القرن العاشر الهجري» بأن تاريخ تأسيس الزاوية سنة912هـ وهذا أرجح الأقوال وذلك عندما تحسب فترة بقاء الشيخ عند الدوكالي ومدة سياحته تجد أن هذا التاريخ أقرب للصحة.

76- عمر بن محمد بن حمودة الطرابلسي مولدا ودارا المخزومي نسبا المعروف بابن جحا كان عالما زاهدا عارفا بالله، خليفة الشيخ وأول الآخذين عنه له تأليفان كبيران في مناقب الشيخ ضاعا يوم قتل سيدي عمران واستباحة الزاوية من قِبل يحيى السويدي توفي سنة 999هـ ودفن بتونس الخضراء. محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 248.

77- سالم بن طاهر يدعى ابن نفيسة الأنصاري، قرأ على شمس الدين اللقاني لقي الشيخ وأخذ عنه سنة 910هـ كان مملوء الجراب من كل العلوم والآداب، وكان من أكابر الصالحين، توفي في سنة 999هـ ودفن بزليتن. الطيب المصراتي، فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر. ص: 229.

78- مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 37

العلمـاء الـذين تخـرّجوا علـيه، ومـئات المـريدين الـذين أخذ بأيديهم إلى طريق الحق والخير.

المطلب الثالث: أثر دعوة الشيخ إلى الله في العالم الإسلامي

مـن عـوامل بقـاء الدّعـوة تعاقـب الـدعاة لها ما تعاقبت الأيام، ومنذ أن أكرم الله تعـالى هـذه الأمـة وصوت الدّاعي مدويا في أفق المدعوين إلى أن أكمل الله الدّين وأتمّ الـنعمة، ثـم تـوالى الـدّعاة مـن خلفاء الرسول ﷺ إلى من بعدهم من دول، أو مصلحين ومـوجهين، آمـرين بالمعـروف نـاهين عن المنكر، وذلك عملا بالأصل القويم في قوله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾ [آل عمران: 104].

فكلما خيمت سحب البدع، وخاض الناس لجج الباطل؛ أيّد الله تعالى لهذه الأمة رجـالا يدعـون إلى الله تعـالى علـى بـصيرة، يـنيرون الطريق، ويظهرون الحق، ويحيون الـسنة، ويحاربـون الـبدعة حتى يطهر الله على أيديهم البلاد، وينقذ بدعوتهم العباد، وهذا من تمام النعمة وسعة الفضل من الله تعالى على عباده.

إن رجـال الفكـر وأرباب المعرفة دائما وأبدا يعنون بتراجم الأشخاص وسيرهم، وبـالأخصّ أولئك الرجال الذين حوّلوا مجرى التاريخ في بلادهم وأوجدوا انقلابات في التفكير، فتراجم هؤلاء بمثابة المصابيح على جانبي الطريق يسترشد بهم الساري ويهتدي بهم القاصد.

ولـئن كـان بعـض الـناس يمجّدون رجال الفكر أيًّا كانت وجهاتهم ويغالون في إحـياء ذكـراهم، فإنـنا معاشر المسلمين لا نقدّس الشّخصيات، ولا ننساق وراء التّيارات، ولكـن لـنا مقاييس تُعـرض عليها الرجال وأعمالهم، وبقدر ما ترجح كفتهم يكون لهم القـدر والمنزلة في نفوسنا، ألا وهي مقاييس الدّعوة والإرشاد وميادين الإصلاح في ظل الإسلام.

إن صـاحب موضوع هذا البحث المتواضع من أوفر الناس حظا، وأرجحهم كفّة في مـيادين الدّعـوة والإصلاح، وقد طبقت شهرته الآفاق حتى عرفه القاصي والدّاني مما سيراه القارئ في هذا المبحث.

فقـد حمـل الشيخ مشعل الدّعوة والإصلاح بعد أن تمرّس في جلّ العلوم وتفنّن فـيها وتحـصّل علـى تقديـر واحـترام جميع المشايخ والعلماء -كما سبق- فطاف البلاد

داعيا ومرشدا ومصلحا.

فـذهب إلى مدينـة طـرابلس واتخـذ من (جامع الناقة) منبرا لدعوته ا لإصلاحية، فمكـث هناك مدة من الزمن يرشد الناس ويعلمهم أمور دينهم، ثم بعد تلك المضايقات الـتي حـدثت لـه مـن بعـض المنكـرين، خـرج مـن طـرابلس حـاملا معـه أعباء الدّعوة والإصـلاح حتى استقر به المقام في بلدته زليتن وأسّس بها زاويته المشهورة والتفّ حوله الطلـبة مـن كـل حدب وصوب، ليس من داخل ليبيا فقط بل ذاع صيته خارج ليبيا فأتاه المـشايخ مـن الأزهـر الشريف أمثال سالم السنهوري[79]، ومن أرض الحجاز أمثال عبد الـرحمن المكي الذي يعتبر من أشدّ المحبين لشيخنا الجليل فقد جاء من مكّة المكرّمة وجـاور شـيخنا الجلـيل في زلـيتن مـدّة مـن الزمن وتتلمذ على يديه وهو يعتبره شيخه الأول فهاهـو يخـبرنا عـن شيخه فيقول: « وهو من أكابر مشايخنا الصّوفية وقد هاجرنا معه نحو خمسين عاما وقد أخرجنا من الجهل »[80].

إن هـذا الكـلام الـصّادر من أحد شيوخ عاصمة ديار الإسلام –مكة المكرمة– إن دلّ علـى شـيء إنمـا يـدلّ بوضـوح تـام على مدى تأثير شيخنا الجليل وشهرته العلمية والـصوفية الـتي طبقت الآفاق، وكذلك « مقدرته الفائقة في الوعظ والإرشاد، وأسلوبه في فن التدريس والدّعوة إلى الله »[81].

إن تأسـيس شـيخنا الجلـيل لزاويته العامرة يعتبر اللبنة الأولى في طريق الدّعوة، فبمجـرد اسـتقرار الـشيخ بـزاويته تم انتظام الدروس، وعقد المناظرات العلمية فأصبحت الزاوية قبلة للمتعطشين لعلوم هذا الشيخ الجليل ومحطّ أنظار العلماء، فجاءته الوفود من كـل مكان يقول عبد الرحمن المكّي: « ونويت السّفر أنا وجماعة من مكة نحو المائتين وخمسين فقيرا من حملة القرءان العظيم شاغفين بمحبّة الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر وطـريقته العروسـية ثـم الـشّاذلية إلى أن وصـلنا إلى بـلاد الإسكندرية وأخبرناهم بذلك

79- سالم بن محمد عز الدين بن محمد أبو النجا السنهوري المصري المالكي المحدث الحجة خاتمة الحفاظ وكان أجل أهل عصره من غير مدافع، مفتي المالكية ورئيسهم وإليه الرحلة من الآفاق في وقته واجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره له حاشية على مختصر خليل ورسالة في الوضع. ولد بسنهور ثم انتقل إلى القاهرة وتوفي بها سنة 1015هـ

80- عبد الرحمن المكي، البحر الكبير في مناقب صاحب البند ير. مخطوط ص: 4.

81- مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 40.

فسارت معنا طائفة نحو ثلاثمائة فقير ومن كل بلاد طائفة »[82].

وهكذا استقرّ شيخنا الجليل في زاويته التي كانت مجمع المحبين، وبيت المتقين، يذكـرون الله ويحفظـون القـرءان الكـريم، أيـامهم علم وذكر وتلاوة، ولياليهم ذكر وقيام وصلاة وعبادة، انتشرت طريقته في كل بلاد ليبيا، وبلغت سمعته تونس والمغرب فجاءه الـرجال مـن كل مكان، وشدّوا إليه الرحال « وجاءوه من المغاربة تسعمائة فقير وأخذوا عنه العلوم والأوراد والتوحيد والفقه والتصوف وهو بحر لا ساحل له »[83].

لا شـك إن رجـال التربـية الرّوحية هم هداة الأمة، وشمس هدايتها، وإنهم الرّوح المتوقّدة الثائرة التي لا تعرف الهدوء والسكينة؛ لأنهم عرفوا ربهم فأحبوه؛ ومحبة الله قوة داخلية تحرك المؤمن حتى يعرّف الناس بالله تعالى.

ولـذا نجـد أن انتـشار الدّعـوة في جـنوب آسـيا وفي أفـريقيا كان على يد الدّعاة الصوفيين أمثال شيخنا الجليل الذين تزكت أرواحهم، وطهرت قلوبهم.

« إن المتتـبع لانتـشار الدّعـوة الإسلامية في جنوب شرق آسيا وفي إفريقيا ليرى أثر التصوف واضحا وأنهم بدأوا حيث توقف الفتح الإسلامي آنذاك »[84].

ولا يقتـصر هـذا الأثر على قدوم هذه الآلاف المؤلّفة من بقاع الإسلام لتنهل من هذا المورد الصّافي، وتتبرك برؤيا ه وتتعلم على يديه، بل إن الشيخ عبد الرحمن المكي يـنقل أثـناء حديـثه عـن قـيامه بـأداء فريـضة الحج للمرة الخامسة ما يجعل المرء يقف إجـلالا لهـذه الشخـصية العظـيمة الـتي احترمها كل من اتصل به من نبأها شيء فيقول: « ولمـا بلغنا إلى المدينة في الحجّة الخامسة والوصية الكبرى المذكورة والشطحة عندنا وقـرأناها على علماء المدينة بأجمعهم فأعطونا خمسمائة بندقي[85] –نوع من الذهب– تعظـيما للـشيخ الأسمـر واعتقادا في كلامه فقسمها الفقراء بينهم واشتاقت قلوب العلماء بمحبة الشيخ الأسمر وزيارته »[86].

82- عبد الرحمن المكي، البحر الكبير في مناقب صاحب البندير. مخطوط ص: 6.

83- المصدر نفسه، ص: 7.

84- محمد شيخا ني، التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين. ص: 258.

85- البندقي: نوع من الذهب منسوب إلى البندقية. المعجم الوسيط. جـ: 1، ص: 148.

86- عبد الرحمن المكي، البحر الكبير في مناقب صاحب البندير. ص: 38.

بـل تجاوز أثر الشيخ بلاد العرب إلى بلاد العجم فقد ذكر الشيخ المكي[87] خبر قدوم جماعة نحو أربعين تركيا في مركب إلى أن بلغت طرابلس ومنها توجهوا إلى زليتن وأن الـشيخ خـرج لملاقاتهم وأنهم بقوا مع الشيخ إلى أن توفاهم الله، وكذلك ذكر[88]: أن أربعـة عـشر يهـوديا مـن طرابلس قدموا على الشيخ وأسلموا على يديه وأقاموا معه في الزّاوية وحفظوا القرآن الكريم وأخذوا عنه الطريقة.

ثم يقول عبد الرحمن المكّي: «وقد شاع الخبر بالمشرق والمغرب عند الحجّاج وفي العام الثالث قد جاءه خمسة آلاف من الشام ومصر وبغداد ومكة المشرفة والمدينة المـنورة وأخـذوا عـنه الـتلقين وبعـد الـتلقين العهـود وجـاءه من المغاربة تسعمائة فقير وأخـذوا عـنه العلـوم والأوراد والتوحـيد والفقه والتصوف وهو بحر لا ساحل له، وكان رحمه الله من أعظم المربيين»[89].

كذلك لا ننسى أثر الشيخ في سبيل نشر الدّعوة الإسلامية في قارة أفريقيا فقد قام شـيخنا الجلـيل بإعـداد الـدّعاة الأفارقـة وتوجيههم إلى بلدانهم ليساهموا في نشر الدّعوة الإسـلامية ومن بين هؤلاء التلميذ النجيب ابن أقيت[90] الذي تتلمذ على الشيخ وانتفع به وأصـبح بعد ذلك علما من أعلام الدّعوة والإرشاد في بلاده، وكذلك كان لشيخنا الجليل مراسلات إلى علماء أفريقيا يرشدهم فيها ويوجههم إلى ترسيخ مفهوم الدّعوة الإسلامية، ومن بين تلك المراسلات رسالة بعث بها إلى أصحابه في تمبكتو[91].

وهكـذا عـاش شـيخنا الجليل عل حبّ التعلّم والتعليم، وأفنى حياته مجاهدا في سبيل ترسيخ مفهوم الدّعوة الإسلامية، وكان –رحمه الله– حلقة وصل بين مشرق الوطن العربـي ومغـربه، فامـتدت دعـوته وطـريقته إلى أرض الحجـاز، وبـلاد الـشّام، ومـصر، والمغرب العربي، والغرب الإفريقي.

87- ينظر: عبد الرحمن المكي، البحر الكبير في مناقب صاحب البندير، ص: 50.

88- ينظر المصدر نفسه، ص: 47.

89- المصدر نفسه، ص: 7.

90- العاقب بن محمود ابن أقيت الصنهاجي نسبا التنبكتي دارا وقبرا، كان من أجلّ العلماء قرأ الفقه والنحو والتوحيد على أبيه وعمه، ثم أخذ على الناصر اللقاني، وأجازه أبا الحسن البكري ثم لقي سيدي عبد السلام الأسمر وأخذ عنه التلقين. محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 257.

91- تمبكتو مدينة إسلامية قديمة بجمهورية مالي الإفريقية تقع بالقرب من مجرى نهر النيجر. دائرة المعارف الإسلامية جـ5 ص:465، مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 231.

بعـد كـل هذه الشهرة الواسعة لشيخنا الجليل ربما يرد على الذهن سؤال يفرض نفـسه بإلحـاح، لمـاذا لم يترجم له أصحاب كتب التراجم الذين عاصروا شيخنا الجليل أمثال الشيخ عبد الوهاب الشعراني[92]؟!!

ولـندع عـبد الـرحمن المكـي يجـيب على هذا السؤال: « وقد اجتمعنا بسيدي عبد الـوهاب الـشعراني، فـوجدناه مريض الجسم متضعّف، وقرأنا عليه الوصية فقال: إن عشت وأطـال الله عمـري لأزور الدّوكالـي وتلمـيذه الأسمـر، وقـد أمـرنا بجمـع مناقب الأسمر وحكايته؛ لكي ينقلهم ويترجمهم في رسائله فمات في تلك المرضة رحمة الله عليه »[93].

فجزى اللهُ شيخنا الجليل عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

المطلب الرابع: منهجية الشيخ في الدّعوة إلى الله

بعد أن قام شيخنا الجليل بتأسيس زاويته العامرة، التي تعتبر تطبيق عملي لتحقيق رسـالة الإسـلام في نشر عقيدة التوحيد، والتمسّك بكتاب الله -القرءان الكريم- تحفيظا، وتعلـيما، وتطبـيقا لأوامـره، ونواهـيه في العـبادة، والـرّعاية الدّينـية والاجتماعية الشاملة بمفهومها الإسلامي الصحيح.

فقـد كانـت الـزاوية بمثابة اللبنة الأولى في سبيل نشر الدّعوة والإرشاد والإصلاح الاجتماعي، وكان الباعث على بناء هذا الصرح العلمي جهاديا تعليميا.

ولقد رسم شيخنا الجليل خطة منهجية للتعليم في هذا الصرح العلمي تنقسم إلى مخططـين « يستهدف أولهما: شريحة من كان في طور الدراسة وطلب العلم »[94]، ولقد ركّـز شـيخنا الجلـيل علـى هذه الشريحة فانتظم له طلبة العلم والعلماء، وتنوعت المواد المدروسـة وموضـوعاتها، فكـان شـيخنا الجلـيل بعد أن يتم أوراده وأذكاره « يبتدئ في درس التوحـيد إلى الظهـر، وبعـده في شرح مختصر خليل أو الرسالة إلى العصر، وبعد العـصر في الحكـم وتاج العروس إلى المغرب، وبعد المغرب في النحو والمعقول إلى

92- عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي -نسبة إلى محمد ابن الحنفية- الشعراني أبو محمد من علماء المتصوفين، ولد في قلقشندة بمصر سنة 898هـ له مؤلفات كثيرة من أشهرها كتاب طبقات الشعراني توفي بالقاهرة سنة 973هـ. الأعلام، جـ 4 ص: 180.

93- عبد الرحمن المكي، البحر الكبير في مناقب صاحب البندير. مخطوط ص: 39.

94- مصطفى عمران رابعة، مقال منشور بمجلة الجامعة الأسمرية، العدد الرابع.

توسط العشاء»[95].

ومن هذه المدرسة تخرّج الدّعاة والمصلحون الذين قام بإعدادهم وتكوينهم شيخنا الجليل ومن بين هؤلاء الدّعاة الشيخ عبد الرحمن المكي، والأزهري سالم السنهوري، والأزهري كريم الدّين البرموني، والعلامة ابن أقيت التنبكتي، وغيرهم كثير ولا يسع المقام هنا لذكرهم، وربما سنحت لي الظروف بإفراد هؤلاء الدّعاة في بحث خاص بهم، أسرد فيه تراجمهم وشيء من أحوالهم.

ويستهدف المخطط الثاني: «الشريحة الأخرى من المجتمع، وهم كبار السن ومن فاته ركب التعليم، بسبب مشاغل الحياة، وهم الفئة الأكثر في المجتمع يومها»[96] وقد استقطب هذا المخطّط مجموعة من المريدين الذين لم يتمكنوا من الانخراط في سلك التعليم المنظم، وقد كان لقاء شيخنا الجليل بهؤلاء فرصة يبث فيها نصائحه، ويقرّب فيها مقاصد الشريعة، وقواعد السلوك إلى عقولهم وقلوبهم، وهو يعالج من خلال ذلك صورا واقعة يمارسها الناس في حياتهم تتعارض مع مقتضيات إسلامهم، وقد كان حريصا على أن يكون كل واحد من هؤلاء أداة تغيير فاعلة ومؤثرة في المجتمع.

«وهذه الموائمة التي حرص عليها الشيخ في المرحلة الأولى من تاريخ هذا المعهد العلمي بين هذين الخطين اللذين رسمهما لمهمته الإصلاحية لا يتأتى أن ندركهما على حقيقتها، ونحدد أبعادها إلا بوضعها في الإطار العام للفكر الإسلامي وتياراته عبر تاريخه مع اعتبارنا للظروف الثقافية والاجتماعية البيئية الخاصة»[97].

اجتهد شيخنا الجليل في إيقاظ الوعي في المجتمع الإسلامي وذلك بالعودة إلى منابع الإسلام الأصّيلة من كتاب وسنّة، فكان كثيرا ما يوصي تلاميذه بقراءة كتاب الله واتّباع السنة النبوية قائلا: «وأوصيكم بحفظ القرءان، والإكثار من تلاوته ... اقرءوا القرءان واستظهروه، فإن الله لا يعذّب قلبا وعى القرءان»[98]، ثم يقول في إحدى وصاياه: «ولا منجا أنجى لكم من سنة رسول الله ﷺ فعليكم باتباع السنة المحمدية

95- عبدالرحمن المكي، البحر الكبير في مناقب صاحب البندير. مخطوط ص: 61.

96- مصطفى عمران رابعة، مقال منشور بمجلة الجامعة الأسمرية، العدد الرابع، ص:

97- الصّديق يعقوب، الشيخ الأسمر العلم المغمور والصوفي المفترى عليه. بحث منشور بمجلة العلوم الإنسانية العدد الثاني 1991م، ص: 457.

98- مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 238، 239.

فعليكم باتباع السنة المحمدية فعليكم باتباع السنة المحمدية»[99]، وكان شيخنا الجليل محاربا للبدع والانحرافات الفكرية وهذا يبدو واضحا من خلال إحدى وصاياه «وإياكم ومخالطة أهل الهوى والبدعة والخوارق والمستدرجين، فإنكم لا تنالون منهم إلا الظُّلمة، والشكّ في الاعتقادات الجميلة، فلا تخالطوهم ولا تقربوهم قطّ»[100].

لم تقف دعوة شيخنا الجليل عند مهنة التعليم ونشر العلم الشرعي فقط بل كان لشيخنا الجليل انتقاد لنظام الحكم المتردّي في البلاد آنذاك، «حيث كانت طرابلس في تلك الفترة تعيش ظاهريا في ظل حكم أحد (الشيوخ) الذين جاءوا إلى سدة الحكم بعد انفصال طرابلس عن الدولة الحفصية سنة 866هـ بينما الحكم الفعلي يباشره كبار التّجار، وأصحاب رءوس الأموال الذين لا همّ لهم إلا جمع المال والثراء ... لذا سارع الأسمر إلى انتقاد هذا الوضع، وأرسل صيحاته المدوية في جنبات جامع الناقة، محذّرا من هذا الوضع الذي تعيشه المدينة ومبيّنا المآل الذي ستصير إليه إن استمر هذا الوضع على حاله»[101].

وهكذا حمل شيخنا الجليل همّ الإصلاح الاجتماعي وذلك عبر منهجية الوسطية والاعتدال فبدأ بتصحيح أمور العقيدة، وانتشال المجتمع من براثن الجهل، وذلك من خلال حلقات الدرس المنتظمة بزاويته، ولم يغفل البيئة المحيطة به، فكان لا يسكت عن أي خطر يهدد المجتمع حتى ولو كان هذا الخطر آتيا من نظام الحكم.

وقد كان لشيخنا الجليل ميزة نادرا ما تجدها في غيره من العلماء، وهي متابعة تلاميذه الخريجين بعد أن استقرّوا في أوطانهم، فقد كان يبعث لهم بنصائحه وإرشاداته، وذلك من خلال الرسائل التي كان يبعث بها إليهم.

ولم تقف جهود شيخنا الجليل عند إلقاء الدروس، والمواعظ، وتربية المريدين فحسب، بل تعدّى ذلك إلى التأليف والتدوين، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح هنا أين هي هذه المؤلفات؟!!

من المعروف أنه لم يصلنا من مؤلفاته سوى بعض من رسائله، ووصيته الكبرى

99- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 181.

100- المصدر نفسه، ص: 194.

101- مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه. ص: 33.

والـصغرى، وكـتابه الأنوار السنية، ولقد ثبت أنه كان لشيخنا الجليل كتبة يكتبون له كل مـا يـصدر عنه «وله أربعة كتّاب من غير الطلبة لا يفارقونه في كل يوم إلى أن توفاهم الله»[102]، فهـل يعقـل أن يكـون هـذا العـدد مـن الكتـبة لأجـل كـتابة وصـيّتين وبعض الرسائل؟!!

إنـه ممـا لاشـكّ فـيه أنه كان لشيخنا الجليل مؤلفات كثيرة ولكن هذه المؤلفات ضـاعت وسرقت من الزاوية وذلك إثر الغارة الغاشمة التي قام بها المتمهدي يحيى الزر هونـي[103] قاتـل سـيدي عمـران ابن الشيخ حيث «قتل عمران ونهب الزاوية نهبا شنيعا فـضاع مـنها مـن الكتب شيء كثير ومن الأثاث ما لا يعد، لأن سيدي عمران كان حبّس مـن نحـو خمـسمائة مجلـد علـى الـزاوية وفـيها ضـاعت مـناقب الـشيخ رضي الله عنه ومؤلفاته»[104].

«وكانـت في هـذه الـزاوية مكتـبة عظـيمة تحـوي أكثـر من خمسمائة مجلد في مخـتلف العلـوم وكـان مـن بين هذه المجلدات مؤلفات الشيخ وكتبه وقد نهبت كلها في الفتنة التي قتل فيها ابنه عمران سنة995هـ»[105].

الخاتمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، على ما أنعم به عليّ من نعم عظيمة، ومن هـذه الـنعم كـتابة هذا البحث. وفي خاتمته أسأل الله سبحانه أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعلـه خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به عباده الصالحين من الدّعاة وغيرهم، ويجدر في نهايـة هـذا الـبحث بـيان أهـم مـا توصـلت إليه من نتائج وأهم التوصيات التي أراها تستحق الذكر.

لقد حاولت في هذا البحث أن أسلط الضوء على الجانب الدّعوي في حياة شيخنا

102- عبد الرحمن المكي، البحر الكبير في مناقب صاحب البندير. مخطوط ص: 60.

103- يحيى بن يحيى السويدي من أهل المغرب هكذا قال عنه ابن غلبون في التذكار أما صاحب المنهل العذب فقال: «انتزى بناحية تاجوراء يحيى بن يحيى السويدي والتف حوله كل ناعق من جفاة الأعراب وأجلافهم».

104- الطيب المصراتي، فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر. ص: 213.

105- الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 166.

الجليل، وقد تبين لي في ثنايا هذا البحث أن شيخنا الجليل ليس مجرد شيخ مشهور بالكرامات وخوارق العادات -كما هو متداول بين عوام الناس- بل هو يمثل بحق علما من أعلام الثقافة في بلادنا، وكذلك كان على قدم راسخة في الدّعوة و الإرشاد، وأنه علم من أعلامها، ساهم في نشر مفهوم الدعوة الإسلامية داخل البلاد وخارجها، وأن له منهجية في الدعوة أسوة برسول الهدى ﷺ، حيث ابتدأ بالدعوة إلى التوحيد ثم دعا إلى الشريعة، مراعيًا الأولويات، والبدء بالمهم فالذي يليه.

وتقتضي القدوة ألا يقابل الدّاعية السّيئة بالسّيئة بل يعفو ويصفح، ويقابل الإساءة بالإحسان كما كان ﷺ، يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، وهذه أخلاق الأنبياء.

أما توصياتي فإنه من خلال بحثي في المراجع والمخطوطات أثناء كتابة هذا البحث تبين لي أن جزءا كبيرا من تاريخ الشيخ وتراثه مازال مجهولا، وأنه لا يمكن لمجهود فردي أن يتحمل مسؤولية البحث والتنقيب على هذا التراث النفيس؛ فلهذا أرى أن تتضافر الجهود، وتشحذ الهمم لإخراج هذا التاريخ إلى الوجود ليكون في متناول البحّث والمحققين.

ولهذا أقترح على المنظمين لهذا المؤتمر أن يتم تشكيل لجنة من المشاركين في هذا المؤتمر بحيث تكون مهمتها جمع هذا التراث النفيس، وهذا لا يتم إلا بمراسلة مكتبات العلم لاسترداد المخطوطات والكتب التي نهبت من الزاوية.

وأخيرا اللهم هذا جهد المقلِّ، وبضاعة المقصِّر تقبّلها بفضلك، وتجاوز عن نقصها بعفوك. وما كان في ذلك من إتقان وإحسان ففضل منك وإنعام، وما كان من خلل أو زلل فغفلة أو استزلال شيطان. فأقل -يا رب- عثرتي، واغفر زلّتي يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أ. المصادر المخطوطة

1. السنهوري (سالم محمد السنهوري، ت 1015هـ)، النور النائر.
2. المكي (عبد الرحمن علي المكي، ت998هـ)، البحر الكبير في مناقب صاحب البنديرـ.

ب. المصادر المطبوعة

3. الأسمر (عبد السلام بن سليم الفيتوري، ت981هـ)، 3ـ الأنوار السنية، مصر: دار الطباعة. ط1، 1964م.
4. الأسمر (عبد السلام بن سليم الفيتوري، ت981هـ)، الوصية الكبرى، طرابلس: مكتبة النجاح
5. إسحاق إبراهيم محمد المليجي، على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر، طرابلس: مكتبة النجاح. ط 1، 1969م
6. البخاري، (الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي إسماعيل، ت256هـ)، صحيح البخاري، تحـذ مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير. ط 3، 1987م
7. الترمذي (أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة، ت279هـ)، سنن الترمذي، تحـ: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر. ط 2، 1974م.
8. ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.
9. حمودة (سالم محمد حمودة، ت1991م)، مختصر تاريخ الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر، مصر: مطبعة تشوبه 1948م.
10. الذهبي (محمد بن أحمد عثمان بن قايماز، شمس الدين، ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، بيروت: مؤسسة الرسالة. ط1، 1948م.
11. الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، زين الدين، ت بعد666هـ)، مختار الصحاح، تحـ: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. 1995م.
12. الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد، الدمشقي، ت1396هـ)، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين. ط5، 1980م.

13. الزاوي (الطاهر أحمد، ت1406هـ)، أعلام ليبيا، طرابلس: دار المدى الإسلامي. ط 3، 2004م.
14. الزاوي (الطاهر أحمد، ت1406هـ)، معجم البلدان الليبية، طرابلس: مكتبة النور. ط1، 1968م .
15. السامرائي (يونس الشيخ إبراهيم)، تاريخ الطرق الصوفية، بغداد: مكتبة الشرق الجديد. 1988م.
16. شلابي (سالم بن سالم بن محمد)، المختار من أسماء وأعلام طرابلس الغرب، طرابلس: منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة. ط1، 2006م.
17. الصديق عمر يعقوب، الشيخ عبد السلام الأسمر العالم المغمور والصوفي المفترى عليه، مقال منشور بمجلة العلوم الإنسانية الصادرة عن كلية الآداب بزليتن العدد الثاني 1991م
18. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القرءان
19. تحـ: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة. ط1، 2000م.
20. الطيب المصراتي، فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر، بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة، ط: 1، سنة: 1969م.
21. الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقري، ت 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بيروت: المكتبة العلمية. د.ت.
22. ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، ت273هـ)، سنن ابن ماجه، تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: المطبعة الحلبية.
23. مسلم (الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت261هـ)، الجامع الصحيح، بيروت: دار الآفاق الجديدة. د.ت.
24. محمد شيخاني، التربية الصوفية بين الصوفيين والسلفيين، دار قتيبة، ط: 2، سنة: 1995م.
25. مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر إلى مريديه، بيروت: دار المدى الإسلامي، ط: 1، سنة: 2003م.